مجلة المجمع العلمي العربي

الجزء ١١ تشرين الثاني سنة ١٩٢٢ م الموافق ربيع الأول سنة ١٣٤١ هـ المجلد ٢

تفسير الالفاظ العباسية

– في نشوار المحاضرة –

٢

« الطيـــــار »

وفي (ص ١٦) : « فرأيته على روشن داره على دجلة في وقت حار من يوم شديد الحرارة وهو حافٍ حائر يعدو من أول الروشن إلى آخره فطرحت طياري اليه وصعدت بغير اذن» . وفي (ص ٣٩): « فعدل في الازقة إلى سيحان[1] ليركب منها طياره » . وفي (ص ١٠٣): « فعبر في طيار وانا معه » . وفي (ص ١٠٤): « وأنفذ في إشخاصي خادماً من كبار خدم السيدة فجاءَ في طيار وأمر هائل » . وفي (ص ١١٩): « ونهض والكتّاب معه وجاء إلى طياره وهو لا يشك في الصرف فصعد إلى ابن الفرات » . وفي (ص ١٣١ – ١٣٢): « فكنت جالساً يوماً اذ جاءني بوابي وقال : طيار عريب بالباب وهي تستأذن فعجبت من ذلك وارتاح قلبي إليها فقمت حتى نزلت بالشط فاذا هي جالسة في طيارها » . وفي (ص ١٣٣) : « ثم قامت لتنصرف فشيعتها إلى دجلة فلما ارادت الجلوس في طيارها » . وفي (ص ١٣٨): « حضرت في بعض أيام المواكب باب دار الخلافة فوقفت في طياري والقضاة في طياراتهم » وفي آخر الصفحة : « وكنا

---

(١) اسم نهر بالبصرة كما في حاشية الكتاب .

في طياراتنا اذ خرج خلفاء الحجاب يطلبونني » وفي (ص ١٤٩) تكرر ذكر الطيار مرتين وكذلك في (ص ١٥٠) . وفي (ص ٢١٢) : « فلما نزل في طياره قال أخبرني بما جرى » .

قلنا : وورد الطيار في مواضع أخرى من الكتاب لم نر فائدة من الاشارة إليها . ويفهم من بعض ما تقدم انه شيء يركب ومن بعضه انه نوع من السفن ولم يرد بهذا المعنى في معاجم اللغة التي بايدينا . ومما يؤيد انه نوع من السفن قول هلال الصابىء في تاريخ الوزراء (ص ١٩) « ارزاق الملاحين في الطيارات والشذآءات والسميريات والحراقات والزلالات وزواريق المعابر » . فان قيل قد انشد الراغب في محاضراته (ج ٢ ص ٨) لجحظة البرمكي :

قل للوزير ادام الله دولته ‏ اذكر منادمتي والخبز خشكار
اذ ليس بالباب برذون لدولتكم ‏ ولا غلام ولا بالباب طيار

ويؤخذ منه انه أراد به غير السفينة. قلنا ان صحت هذه الرواية فالمرادبالباب الثاني باب القصر المشرف على دجلة على أن رواية صاحب اليتيمة في البيتين وذكرانهما قيلا في الوزير المهلبي (ج ٢ ص ٩) :

قل للوزير أدام الله دولته ‏ اذكرتنا أدمنا والخبز خشكار
اذ ليس في الباب بواب لدولتكم ‏ ولا حمار ولا في الشط طيار

انتهى . ويكثر ورود الطيار في كتب الأدب والتاريخ بما يفهم منه انه زورق فخم لركوب العظماء والظاهر انهم سموه بذلك لأنه من السفن الخفيفة السريعة الجريان كأنها لسرعتها تطير على وجه الماء ، ومنه تسمية ريسان الخولاني لفرسه بالطيار لسرعة عدوه أو تفاؤلاً له بذلك . واستعمال الطيران للسرعة مألوف في كلام العرب والمولدين ومنه قول ابن نباتة السعدي في فرس أدهم اغر محجل واجاد :

وادهم يستمد الليل منه ‏ وتطلع بين عينيه الثريا
سرى خلف الصباح يطير مشياً ‏ ويطوي خلفه الافلاك طيا
فلما خاف وشك الفوت منه ‏ تشبث بالقوائم والمحيا

وفي أحسن التقاسيم للمقدسي في اختلاف لغات أهل الاقاليم (ص ٣١) ان الطيار

هو الزبزب وذكر أسماء كثيرة له تختلف باختلاف الاقاليم منها المعبر والقارب. ولم تفسر المعاجم الزبزب بسوى ضرب من السفن إلا أن صاحب شفاء الغليل قال فيه عن ياقوت انه سفينة صغيرة وأنشد لبعضهم :

زبازب تحكي إذا سيّرت   عقارباً تجري على زئبق

وفي الأغاني (ج ٢١ ص ٢٣٧) : « وحدثني رجل من أهل البصرة كان يألف مخارقاً ويصحبه قال : كنت معه مرة في طيار ليلاً وهو سكران فلما توسط دجلة اندفع بأعلى صوته فغنى فما بقي أحد في الطيار من ملاح ولا غلام ولا خادم إلا بكى من رقة صوته ورأيت الشمع والسرج من جانبي دجلة في صحون القصور والدور يتساعون بين يدي أهلها يستمعون غناءَه » .

وفي مروج الذهب (ج ٢ ص ٤٢٠ - ٤٢١ من طبعة بولاق . و ج ٨ ص ٣٧٧ من طبعة باريس) ان المستكفي لما بويع بالثبق وهي على نهر عيسى انحدر في الماء راكباً في الطيار الذي يسمى الغزال[1] . الا أنه ذكر في خلافة المتقي ما يعلم منه اطلاق الطيار على نوع من سفن القتال أيضاً فقال : « واشتد أمر البريديين بالبصرة ومنعوا السفن ان تصعد وعظم جيشهم وكثرت رجالهم وصار لهم جيشان جيش في الماء في الشذوات[2] والطيارات والسميريات والزبازب وهذه أنواع من المراكب يقاتل فيها صغار وكبار » .

فوضح بهذا معنى الطيار والمراد منه وبقي شيءٌ عن لفظه وقد بينا انه مشتق من الطيران والمراد به السرعة أي أنه عربي المادة والصياغة بما لا يحتمل الشك فلا يضره كونه مولداً في الاستعمال إلا أننا رأينا المعاجم الفارسية ذكرت (الطياره) مضبوطة بفتح الاول وتخفيف الياء لنوع من السفن فهل لنا أن نقول بتعريب الطيار عنها بعد تغييره تغييراً قليلاً . اللهم إنا لا نذهب لذلك ولا نقول به وان اتحدا في اللفظ والمعنى بل الأظهر أن تكون (الطياره) دخيلة في الفارسية من العربية ولا غرابة في ذلك فان الفارسية الحديثة دخلتها ألفاظ عربية كثيرة ولا سيما بعد اختلاط الامتين في العصر

---

(١) في نسخة بولاق الغزالة . (٢) تقدم في عبارة تاريخ الوزراء والشدآءات والذي في معاجم اللغة ان الواحدة شذاة أو شذاوة والجمع شذا أو شذاوات .

الاسلامي فلا ينبغي لنا التسرع في الحكم بتعريب لفظ عنها إلا بعد التدقيق الشديد وقيام الادلة القاطعة على اصالته في الفارسية .

ولزيادة الفائدة نذكر أنهم استعملوا الطيار أيضاً لمعيار الذهب لأنه على شكل طائر واستعملوه أيضاً لنوع من الموازين لا لسان له ذكر ذلك المطرزي في شرحه على المقامات .

(المزمّلة والخيازر)

وفي (ص ٢٣) : « أنا وجدنا له في جملة قماشه سبعمائة مزمّلة خيازر فما ظنك بمروءَة وقماش يكون هذا في جملته » . وفي (ص ٦٠): « عمد إلى ما عنده من دبيقي وقصب وحرير ومزملات وآلة صيف فيفعل به مثل ذلك » . وربما يسبق إلى الذهن من ذكر المزملة في العبارتين مع القماش والدبيقي والحرير انها نوع من الثياب الثمينة والصحيح أن المراد بالقماش هنا متاع البيت وبالمزملة اناء للماءِ .وبما يرشد إلى معنى المزملة قول هلال الصابىء في تاريخ الوزراء (ص ١٥٩) « ودار كبيرة للشراب وفيها ماذيان[١] يجعل فيه الماء المبرد ويطرح فيه[٢] الثلج كدراً ويسقى منه جميع من يريد الشرب الرجالة والفرسان والاعوان والخزان ومن يجري مجرى هذه الطبقة من الاتباع والغلمان . ومزملات فيها الماء الشديد البرد » ولكن غاية ما أرشدنا إليه انها اناءٌ فيه ماء بارد ولم يذكر لنا من وصفها شيئاً وإذا بحثنا في المعاجم التي بايدينا وجدناها تقول « المزملة كمعظمة التي يبرد فيها الماء من جرة أو خابية خضراء قال المطرزي في شرح المقامات وهي لغة عراقية يستعملها أهل بغداد كما في العباب» كذا في القاموس وشرحه ولم يذكرها اللسان بهذا المعنى.ولا يخرج مافي شفاء الغليل وقصد السبيل عن ذلك وقولهم عراقية أي في اطلاقها على هذا الاناءِ وان كانت عربية المادة والصياغة لانها مشتقة من التزميل وهو تلفيف الشيء بثوب ونحوه ومن شرط هذا الاناء ان يجعل له غلاف يحيط به كما سيأتي بيانه . وأما قولهم نقلا عن المطرزي انها جرة يبرد فيها الماء ففيه

(١) كذا في الاصل وترجم في آخر الكتاب بانه شيء يبرد فيه الماء .

(٢) في الاصل (في) .

اقتضاب لعبارته وصرف لها عما أراد واليك نص ماقاله في شرح المقامة الثانية والاربعين « المزملة عند البغداديين جرة أو خابية خضراءُ في وسطها ثقب مركب فيه قصبة فضة أو رصاص يشرب منها سميت بذلك لأنها تزمل أي تلف بشيء من الخيش أو غيره ويحمل فيما بينه وبين خزفها التبن تكون في دورهم أيام الصيف يبرد الماء ليلاً بالبرادات ثم يصب في هذه المزملة فيبقى بارداً » وبه يتضح معنى المزملة تمام الوضوح ويعلم منه انها ليست اناءً يبرد فيه الماء كما زعموا أي ليست كالتي تسميها عامة مصر (الثلاجة)[1] بل هي اناء يصب فيه الماء بارداً فيبقى كذلك .

فاذا عرفنا معنى المزملة وانها اناء مغلف بغلاف خاص يجعلها تحفظ مايصب فيها من الماء كما هو عرفنا ان اسلافنا سبقوا للاهتداء إلى ما لم نهتد اليه إلا من وقت قريب فانها بهذا الوصف عين الزجاجة المحافظة لدرجة الماء وان اختلف نوع الجهاز فيها وهي التي نسميها في مصر بالترموس اخذاً من اسمها الانكليزي Thermos bottle . إذا عرفنا هذا بقي علينا ان نعرف معنى الخيازر أهو نوع من الثياب الثمينة التي كانت تجلل بها مزملات العظماء أم شيء آخر . والصحيح انه جمع خيزران كانت تنسج من قضبانه الدقيقة مثل سفيفة تغلف بها المزملات ونحوها على مايظهر ويرجحه ما جاء في النشوار (ص ٢٣) « وانا وجدنا فيها ثلاثين جامة يجازي كل جامة فتحها[2] شبر وكسر في غلف من لب الخيازر مبطنة بالحرير والديباج » أي مغلفة بقصب الخيزران بعد قشر لحائها .

وانشد الراغب في محاضراته للرفّاء في وصف مزملة (ج ٢ ص ٣٣٢)

مجروحة الخصر غير دامية	كما تكون الجراح والندب
كأنما الماءُ حين تبعثه[3]	ذوب لجين ميزابه ذهب

وليس فيها شيء من وصفها سوى ان صنبورها في وسطها وانه مذهب . ومن

(١) أي التلاجة والعامة تبدل الثاء المثلثة تاءً مثناة في الاكثر .

(٢) لعله (فتحتها) .

(٣) في الأصل (يبعثها) ويجوز انيكون الصواب (تبعثها) أي انت والمراد تميلها لصب الماء .

مستطرف ماروي عنها في كتاب الظراف والمتماجنين لابن الجوزي ان رجلاً سقي ماءً بارداً ثم عاد فطلب فسقي ماءً حاراً فقال لعل مزملتكم تمتريها حمّى الربع .

وقد استعملت المزملة في بعض العصور للحوض الذي يشرب منه ابناءُ السبيل كما يفهم من وصف مزملة عملها المستنصر العباسي ببغداد وورد ذكرها في جزء مخطوط من تاريخ مجهول عندنا . وفي خطط المقريزي (ج ٢ ص ٥٢ من طبعة بولاق) في كلامه على دار المظفر وعثورهم فيها على عتبة من صوان « فبعث بالرجال لهذه العتبة وتكاثروا على جرّها إلى العمارة فجعلها في المزملة التي تشرب منها الناس الماء بدهليز المدرسة الظاهرية » ، والظاهر ان هذه الأماكن كانت توضع فيها مزملات فيها الماء البارد ليشرب الناس منها ثم سمي المكان بها تجوزاً من تسمية المحل باسم الحالّ .

أما ذلك الجهاز الذي يتخذ حول المزملات لجعلها صالحة لحفظ درجة الماء فيجوز لنا ان نسميه بالزمال بكسر الأول وتخفيف الثاني ولكن بشيء من التوسع لأنه في الأصل يقال للقافة الراوية . وقد شاع اطلاق المزمل عَلى الماء المبرد باحاطته بالثلج وسنذكره في كلامنا على (البرادة) .

(المِسْوَرَة)

وفي (ص ٢٧) : « وكانا يشاهدان ابا الحسن في آخر الأوقات في المجالس الحافلة عند باب مفتوح وبين [1] الناس مسورة يستند اليها وعلى الباب ستر قد أرخي حتى بلغ الأرض وغطى المسورة وصار حجاباً بين الناس وبينها » وبعده « مادخلت اليه قط وهو مكشوف الرأس الا اخذ القلنسوة من خلف المسورة ولبسها » . وفي آخر (ص ٢٠٣) « وشرب بعد ذلك رطلاً آخر واتكى على مسورته وكذا كانت عادته إذا سكر » . وفي (ص ٢٥٩) « فيقول له الرجل أيش وراء مسورة مولانا » . وكل ذلك يدل على ان المراد منها نوع من المتكآت أو المساند وفي القاموس وشرحه ان المسور كمنبر والمسورة متكأ من أدم سميت بذلك لعلوها وارتفاعها من قول العرب سار إذا

(١) لعله وبينه وبين الناس .

ارتفع ومثله في الزاهر[1] للزجاجي الاانه جعلها للجلوس او للاتكاء ووردت في الاغاني كذلك (ج ٢١ ص ٣) ونص العبارة « شهدت اسحاق يوماً في مجلس انس وهو يتغنى بهذا الصوت (خليليّ هبّا نصطبح بسواد) وغلامه زياد جالس على مسورة يسقي » . وذكر هلال الصابىء في تاريخ الوزراء (ص٣٢٥) عن ابي الحسن اتخاذه المسورة عندالباب للاتكآء عليها بنحو ماورد في العبارة الأولى الواردة في النشوار ولكن جاء في (ص ٣٥٣) « إذ خرجت ام موسى القهرمانة فجلست على مسورة » . فالظاهر انها كانت تتخذ لهذا ولذاك أو كان منها نوع للاتكآء ونوع للجلوس ومن يتتبع ذكرهم للوسادة في كتب الادب والتاريخ يجدهم يعبرون بها تارة عما يستند اليه واخرى عما يجلس عليه كما فعلوه في المسورة .

(الروز)

وفي (ص ٤٢) : عن اسقاط مال عن رجل كان مطالباً به « فقال المهلبي لابي علي يجب الساعة ان تتقدم إلى الجهبذ ان يكتب له ايده الله روزاً بها وان تجعل انت لها وجوهاً في الخرج » وبعده « فاستدعى الجهبذ واخذ روزه سلمه اليه » قلنا الجهبذ يقال للنقاد الخبير ولخازن المال المسمى في دواوين مصرا لآن بالصراف . ومعنى الروز في الفارسية اليوم وقد وجدته في بعض التواريخ معبراً به عن صك يكتبه الجهبذ بقبضه المال كما هنا . وهو مختصر في الروزنامج معرب روزنامه أي كتاب اليوم لانه يكتب فيه مايقع كل يوم من دخل أو خرج أو حادثة أو غير ذلك فكأنهم أرادوا بالروز الصك الذي يكتب يوم القبض هكذا يظهر لي

(الرهداري)

وفي (ص ٦٠) : « ثم يعمد إلى من يبيع يسيراً مثل نقلي ورهداري ومن رأس ماله دينار وديناران » وفي (ص ١٨٧) : « اجتزت برهداري بمصر فرأيت عنده

(١) منه نسخة قديمة بها خروم في دار الكتب المصرية , اصله الزاهر لابي بكر محمد الانباري فاختصره الزجاجي وحذف شواهده وشرح مافيه وبين اوهامه وزاد فيه فوائد ولم يغير اسمه .

حجراً أعرفه يكون وزنه خمسة دراهم مليح المنظر وقد جعله بين يديه في قماشه و كنت اعرف ان خاصيته في طرد الذباب » . وفي (ص ١٩٠) : « فلما كان بعد سنة اجتزت برهداري على الطريق وإذا بين يديه قناة تشبه قناتي وتأملتها فاذا هي[1] ورطلتها فاذا ثقلها بحاله » . فنرى انه جعله في العبارة الأولى من صغار الباعة وفي الثانية من بائعي الاحجار ذوات الخواص وفي الثالثة من بائعي العصي في الطرق . وكل ذلك صحيح لان الرهداري يعاني التجارة في كل شيء وهو مركب من كلمتين فارسيتين من راه بمعنى الطريق ومن دار بمعنى صاحب والمراد من يطوف بسلعه على الناس في الطرق أي من يسمى عند العامة بمصر (بالسّرّيح) . والفرس تقول فيه راهدار وتطلقه على من يحافظ على الطريق ويخفره في معنى الديدبان وعلى الذي يقبض المكوس على السلع الداخلة من مملكة إلى اخرى لانه يكون في ملتقى الطرق بين المملكتين . والياء التي بآخره هي ياء التنكير عندهم فلما استعمله المولدون ابقوها بآخره كما فعلوا بالروز كاري وهو العامل في البناء بالمياومة أي من يقال له عند العامة (الفاعل) . وذكر ابن خلكان في ترجمة أحمد الغزالي انه نسبة إلى الغزال عند من يشدد الزاي قال وهذه النسبة على عادة أهل خوارزم وجرجان فانهم ينسبون إلى القصار القصاري وإلى العطار العطاري ومثله في الفوائد البهية في تراجم الحنفية للكنوي في ترجمة البقالي الا انه قال بان هذه الياء زيادة العجم لانسبة . قلنا وماهي الا هذه الياء التي للتنكير كانوا يلحقونهابنسب اصحاب الصناعات ثم لما لقب بها اشخاص معينون بقيت في القابهم .

(الباب)

وفي (ص ٦٥) : « وجدنا كل جريب خس يزرع فيه ستة ابواب يقلع من كلّ باب من الأصول كذا وكذا » الجريب معروف وهو كالفدان بمصر الا انه أقل مساحة منه . واما الباب فالظاهر انهم يريدون به احد الاجزاء التي يقسم اليها الجريب وقت الزرع أي مايسمى عند الزراع بمصر بالبيت وبالحوض .

أحمد تيمور

(١) لعله فإذا هي هي .